الشاعر محمد أحمد السويدي

ما يشغلني هو التالي: كيف يمكن لنا ان «نحدّث» تراثنا!

أبو ظبي ـ «القدس العربي»:

الشاعر محمد أحمد السويدي، الأمين العام للمجمع الثقافي في أبو ظبي، غني عن التعريف. لكن أول لقاء لي معه يظل في ذاكرتي ويسرني أن أذكره في بداية هذا الحوار. حضرت حدثا ثقافياً هاما وقت سلم علي كنعان إلى الشاعر السويدي نسخة من ترجمة «فن الحب» للشاعر الروماني «أوفيد» إذ تعرفت وقتها إلى الشاعر السويدي الذي كان قد كلف كنعان بترجمة هذه الملحمة الشعرية الجميلة والمهمة في تاريخ الأدب العالمي. كنت أرغب في التعرف إلى الشاعر السويدي، لما قرأت وسمعت عن إنجازاته الثقافية التي أشرف على رعايتها وانتشارها ليجعل من المجمع الثقافي في أبو ظبي ـ عاصمة الإمارات ـ صرحا حضاريا وهدفا لكل من يزور هذه المدينة، ويهتم بالثقافة والفن والاطلاع على كنوز المكتبة. بالإضافة إلى مشاريعه الثقافية والعلمية كالموسوعة الشعرية والوراق وكتب الرحالين العرب، هذه المشاريع الخاصة التي يرعاها وبدون ربح مادي، إنما خدمةً وإظهاراً لتراث الأمة، سواء في الشعر أو النثر، وتقديم هذه الكنوز وتوصيلها إلى القارئ.

هنا حوار معه عن الشعر والتراث والكتاب والعمل العام:

■ البداية الشعرية.. كيف كانت؟ والتطور.. هل يأتي من خلال الموهبة أو نتيجة لتراكم ثقافي؟

■ أولاً: مفهومي للشعر خارج من دائرة الكلام إلى دائرة أكثر اتساعاً، وبالتالي نحن يمكن أن نسمع الشعر صوتا، ممكن أن نشهد الشعر صوراً. مثلاً، أجد أن أصفى الشعر إذا صحت عبارة أصفى، أو أكثره شفافية وتحليقا وحتى عمقا، هي التهويدات أو الهدهدات التي تغنيها الأمهات للأطفال ليناموا. وعندما أفكر في شكل المشاريع التي خضتها، سواء من تجربتي في المجمع الثقافي، وتجربتي قبل هذا في الشعر، وبعد هذا في القيام بأول موسوعة شعرية عربية، وأيضا مشاريع أخرى مثل الوراق وارتياد الآفاق.. إلخ. أقول لنفسي متى سأستريح؟ يعني متى سأستريح من جملة هذه المشاريع؟ لأن هناك دائما قلقاً مصاحباً خصوصا لشخصي، ربما أكون رياضي التكوين (من الرياضيات) بالإضافة لكوني محبا للشعر والشعراء، فكل حاجة عندي أراها كما نظمتها الطبيعة كما نظمها الله كلها أرقام مثل الجينات في جسم الإنسان أرقام، درجة حرارة 37 رقم إذا زاد أو نقص يتأثر ذلك الجسم، الضغط 120 كذلك يتأثر، دقات القلب 70 أيضا يتأثر. اكتشفنا حتى الشريط الجيني في الإنسان كما في الحيوان والنبات هو رموز أربعة في شريط رقمي لا ينتهي. الغبار الذي خلقنا منه هو ذات الغبار الذي تتكون منه المجرات... هذا ما يجعلني أحس بأن الرياضة تشغلني وتقلقني في آن، كما يشغلني الشعر. هذا العقل الرياضي التكوين، الشاعري الهوى يتعب، وعندما أفكر كيف سأستريح؟.. متى؟ ما هي آخر مشاريعي؟ أرى، وأنا في هذه المرحلة العمرية، أن آخر مشاريعي سيكون تهويدات الأطفال، تلك هي المنطقة التي أستطيع أن أقول هي وسادة سريري، أو كتاب وسادتي ـ على حد التعبير الياباني. ولذلك بدأت ربما منذ سنتين أو ثلاث.. مشروعا بعيد المدى. عندما أتكلم عن مشروع، فأقلّ فترة أتحدث عنها تكون عشر سنوات لأكون منصفاً بتجهيزه. ما هو المشروع الذي بدأت فيه مؤخراً، بدأت الإعداد له؟ مشروعي هو التهويدة، أو الشعر في أصفى معانيه وفي أرقى تجلياته. ولكن هذه المرة شعر أو تهويدات أو موسيقى التهويدات للشعوب وليست تهويدات لمنطقة جغرافية واحدة.

■ الشعر عند الشاعر السويدي أخذ ينحو إلى عالم التصوف... كيف بدأ هذا التحول؟

■ كيف كتبت الشعر؟.. مجساتي ترى الشعر في كل شيء.. على حد قول الشاعر الياباني «باشو»: في غناء الجنادب، في قمر منتصف الشهر في يوم ربيعي، في رسوّ القوارب على شواطئ البحر، في هدهدات الأم وغير ذلك. هذا أمر لا أستطيع تفسيره، ولكن أحاول تقريِّه، لعلني آخر من يستطيع أن يتحدث عن هذه التجربة، تجربة ذاتي. أنا مثل من يحمل كنانة السهام لا أستطيع أن أراها، يراها غيري. في موضوع الشعر بدأنا نقلد، بدأنا نهذي، بدأنا نقول ما سمعناه ونجتر ما كتب قبلنا.. إلى أن نعبر محطات، هذه المحطات تعيد تكويننا كأشخاص، فيبدأ الإنسان يشعر بأنه قد تغير. مشكلة النظم الذي نسمعه من هدير الشلال الذي لا يتوقف من النظم العربي، سواء بلغته الفصيحة أو بلهجاته المختلفة، كله هدير مكرر. هذه ورطة أدركتها فيما بعد. أعترف بتلك المحطات التي تخللت حياتي: محطة أبي الطيب المتنبي غيرت فيّ شيئا كبيرا جدا، محطة نيكوس كازنتزاكيس غيرت فيّ شيئا، أعادت تشكيلي من جديد، محطة نيتشه بعد قراءتي «هكذا تكلم زرادشت» أعادت تشكيلي. إذا تحدثنا عن الصوفية، أنا لم أتحول إلى الشعر الصوفي، بالعكس هناك شعر حسي عالي الحسية في تجربتي الأخيرة، ولكن أعترف بأن الصوفية مستني وأحرقت أصابعي، إن صح التعبير. عندما قرأت «مثنوي» مثلا: أو عندما قرأت المواقف والمخاطبات للنفري أو الفتوحات المكية لابن عربي. لست صوفياً بمعنى العبارة، ولست مع الصوفية بكل ما ذهبت إليه، ولكني أعترف بأن الصوفية كانت منعطفا مهما في تجربتي التي ما زلت أنهل منها، وما زلت مثلما قال جلال الدين الرومي: ما زلت أطهى في نارها التي أنا على يقين أنها ستحرقني قبل أن أنضج.

■ جمعت بين التراث والأماكن المقدسة في أجمل صورة شعرية عن المرأة عندما قلت في إحدى قصائدك:

«يا حبات اللولو الوردية فوق النهدين
يا أغلى حبة عنبر بين الحرمين
يا عشتار المعبودة والكون يدور
انجوم الليل إسوارة والمعصم نور».

■ في قصائدي القريبة مني هناك قصائد تولد، يحس الشاعر أنها بشكل أو بآخر وعبر التجربة ليست ما كان يريد، يشعر أنه كالقابض على الخيال أو يريد القبض على كائن أسطوري، غريب كالكركدن.. ولا يقبض إلا على الهواء. كثير من القصائد كتبناها أو التي كتبها.. أحاول وفي كثير من الأحيان أن أتجنب قراءتها مرة أخرى، وأحيانا أشعر بنوع من الريبة بأن ليس هذا ما أردت. هناك قصائد تحس أنك لم تكتبها، أنها تجاوزتك بمعنى أنك لم تعد تستطيع أن تجد تفسيراً لما يعنيه هذا البيت أو ذاك، فمثلاً عندما يرتبط معنى من المعاني لجسد امرأة بمعنى ديني أو صوفي لا أستطيع أن أفسر ما المراد، وكأن هذا النص أملي في لحظة ما. هذه النصوص لا أستطيع كتابتها مرة أخرى، هي بنات تلك اللحظة التي أمليت فيها القصيدة، وبالتالي هذه هي القصائد الأثيرة لدي، هذه هي القصائد التي أستطيع أن أقول إنني وفّقت فيها بالقبض على هذا الكائن، الكائن الأسطوري. أقول هذا لأنني الآن خاوي الوفاض لا أستطيع تدبيج بيت من هذا الشعر، هي فقط ومضات، لحظات أحس فيها بتفتّح أبواب السماء، يقوم الشاعر بعدها بسرقة ما يستطيع سرقته من المعاني والأفكار وتسجيلها، وحال انتهاء التلقي توصد الأبواب ولم يعد ثمة شيء.

■ أبو حيان التوحيدي يقول إن أصعب غربة هي غربة الإنسان في وطنه وبين أهله، هل الشعر يخفف من الشعور بالغربة ويعوض الحنان؟

■ لي مقالة، آخر مقالة كتبتها، وقد بدأت سلسلة مقالات في الشهور الأخيرة. لم أكن أعطي المقالة أهمية، ولكن هي مقالة هامة جداً على حلقتين أتمنى أن أنشرها قريبا اسمها «بين المتنبي والنامي». المقالة تبحث في شاعرية القامتين... ونحن نعرف من الأخبار أن المتنبي لم يكن يخشى أو يكترث، على كثرة شعراء سيف الدولة إلا بالنامي، المقالة تتحدث عن شاعرية الشاعرين وتتحدث عن أمر هام جداً، وهو لماذا بقي المتنبي وذهب النامي. أحد أسباب ذهاب النامي هو ارتباطه بحلب، لم يستطع مفارقة حلب وظل تحت رحمة الوطن وقسوته وجور الحاكم، وذهب المتنبي غير عابئ بوطن ولا بحبيب ولا بملك، وبقيت أبياته يردد صداها الزمان:

غني عن الأوطان لا يستفزّني
إلى بلد سافرت عنه إيابُ
وعن ذمّلان العيس إن سامحت به
وإلاّ ففي أكوارهنّ عقابُ

وأما عن المرأة والحبيبة فيقول:

وللخود عندي ساعة ثم بيننا
فلاة إلى غير اللقاء تجابُ

فالرجل لم يكترث إلا بما حباه الله من ملكة هي ملكة الكلمة، وعندما ولّى تاركاً أعز الناس لديه، سيف الدولة الحمداني، قال:

عشية أحفى الناس بي من جفوته
وأهدى الطريقين التي أتجنب

كانت الطريق إلى حلب أهدى الطريقين، لكنه تجنبها لأنه لم يجد فيها ما كان ينبغي أن يجد من حفاوة وترحيب، وقال مخاطبا سيف الدولة من بعيد:

وما منزل اللذات عندي بمنزل
إذا لم أبجلَّ عنده وأكرَّمِ

يعني إذا كانت حلب هي الجنة لأن فيها حبيبة وأحبة وأصحابا فهو غني عن الجنة. فالشاعر والوطن.. من هو أبقى؟ الأبقى هو الشاعر.. والأبقى هو الشعر. لقد ذهبت دولة بني حمدان إلى غير عودة، لا نعرف من الأمراء إلا سيف الدولة لأن المتنبي كتبه بقلمه. ولقد ذهب أمراء بني حمدان وذهبت دولتهم، وذهب قادتهم، وذهب تجارهم، وذهبت مجالسهم، ولم يبقَ إلا أبو الطيب المتنبي. فهل يخفف الشعر قسوة البعد عن الوطن؟ لا، الشعر هو الوطن!

■ الشاعر الأمريكي روبرت فروست قال: الأذن هي القارئ الأفضل، كيف تستمتع بالشعر قراءة أو سماعاً؟

■ يقول: أبو نواس للإجابة على هذا السؤال تحديداً: الشعر كالخمر، الشعر كخمرة أبي نواس إن لم تنعش الحواس الخمس فليست خمراً. فلأبي نواس بيت شعر جميل يقول:

ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمرُ
ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهرُ

وهذا البَيت للوهلة الأولى عادي جداً، أي أنه بيت تقريري ليس له من الشعر شأن. ولكن هناك من ذهب مذهباً جميلاً في هذا البيت وهو يقال إن الخمر تنعش حاسة التذوق، كما تنعش الشم، كما تنعش البصر، كما تنعش اللمس. بقيت حاسة واحدة ليس لها نصيب بالخمر وهي السماع فقال: «ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر» لتنتعش الحاسة الخامسة. والشعر بالنسبة لي هو هذه الأحاسيس الخمسة ولو كان هناك إحساس سادس يمكن أن نضيفه ونسميه الحدس. الشعر هو ما ينعش الحواس كافة ويجعلها تتسابق أيها يخطف المعنى قبل الآخر.

■ بينك وبين الكتاب والتراث علاقة خاصة وقوية، كيف تنظر إلى مستقبل الكتاب والتراث العربي وخاصة في هذه الهجمة الشرسة على تراثنا وقيمنا؟

■ أنا دائما مع الحداثة كما يقول الشاعر الكبير أوكتافيو باث، ولكن ليست الحداثة المستوردة وإنما الحداثة التي تنبثق من قلب التراث. لست مع التراث كما هو، لأن التراث هو إحالة إلى الوراء، ولكنني مع التراث الذي سوف يمنحني معنى جديدا للأدب وللفنون ولما حولي. أنا منغمس بشكل كبير في هذا التراث، ولكن ما يعنيني هو كيف نعيد تقديم هذا التراث بشكل حداثي ليبقى حيا بعدنا.. يعني مثلا عندما تكلمنا عن المعلقات، فيجب أن تعرض المعلقات في أطالس إلكترونية على شبكة الإنترنيت، أطالس بأكثر من لغة، أهمها اللغة الإنكليزية اليوم، حتى نستطيع توصيلها إلى أكبر عدد من الناس. الأطالس، لو استطعنا أن نستخدم فيها الوسائط المتعددة لتفعيل حواس أخرى كالسمع والبصر وغيرهما لكان أجدى. وهذا الأمر يذهب بنا إلى منحنى جديد ينبغي بلوغه. التراث مطلق، وأنا أريد أن أحدد حاجة فيما يتعلق بالإنسان العربي واللغة العربية، فالعربي يردد – على خلاف كثير من الشعوب – مفردات لا يعي معناها، وهذا من أغرب الأطوار. أضرب مثلاً، يقول العربي المسلم في صلواته كل يوم: «ومن شر غاسق إذا وقب» فلا يعرف ما هو الغاسق ولا يعرف ما معنى وقب. وطلابنا في المرحلة التعليمية في الصف الثاني الابتدائي، يقرؤون السورة التي تقول: «والعاديات ضبحا» فما هي العاديات؟ وما هو الضبح؟ كيف نستطيع خلق نوع من المصالحة بين الإنسان ولغته؟ كيف نستطيع أن نبرر هذا الغياب، غياب الوعي بين إنسان يقول كلاما لا يعيه وفي أفضل الحالات، مثل طلاب المدارس، يهرع إلى التفسير أو الشرح الذي في أسفل الصفحة فيقول له مثلا: العاديات ضبحاً، هي الخيول التي يسمع لها صوتاً بين الصهيل والحمحمة. وقد يقال: له معنى آخر، لكن هذا لا يجدي ولا يكفي لأن الذي كتب الشرح، وتحديداً في هذه السورة هو شخص عاش قبلنا بألف سنة. عندما سألني ابني عن معنى هذه الآية أحرجني، وذهبت للبحث فوجدت أن كبار المفسرين العرب قد اختلفوا وذهبوا مذاهب شتى في التفسير وتركوا الباب مفتوحا على مصراعيه لمن يريد أن يأتي بتأويل جديد. ويظل الإنسان العربي أبعد ما يكون عن اللغة التي أنتجها. وبالتالي بدأت أشتغل بمشروع أستطيع فيه عمل مصالحة بين الإنسان ولغته، ذاهباً إلى المعنى الصيني الذي يقول: «بدل أن تطعم الإنسان سمكة، علمه كيف يصطاد الأسماك»، يعني بدل أن أذهب إلى الشراح لأسلق بما أرادوه فلأذهب إلى الطريقة التي أستطيع بها فك طلاسم اللغة، وخصوصاً اللغة التي نتحدث عنها.

محمد السويدي (القدس العربي)

■ فلنترك الشعر ونقترب من السياسة. تمتاز سياسة الإمارات بالاعتدال في وقت غلب فيه التطرف على السياسة، ما أسباب هذا النجاح وتفرد التجربة السياسية الإماراتية؟ هل هي الإرادة الرسمية والشعبية معاً أم أنها نتاج طبيعي للوضع السياسي المعتدل الذي عملت به وذلك بعد انسحاب بريطانيا؟

■ نجاح التجربة الإماراتية تكمن في شخص واحد هو الشيخ زايد بن سلطان رحمه الله، قبل زايد لم تكن هناك إمارات، طبيعي لا أقول زايد الفرد، وإنما زايد المؤسسة، زايد الفريق، الذي التف حوله والفريق الذي اختاره، فزايد هو الرؤية التي استطاعت أن تضع الإمارات على طريقها الصحيح. لا أريد أن أغفل ذكر أشخاص كالمؤسسين الأوائل الشيخ راشد بن سعيد، رحمه الله، وبقية حكام الإمارات، هؤلاء جميعا هم الذين وضعوا الإمارات على الطريق الصحيح. ولكن زايد قيادة نوعية، زايد رجل يستطيع استشفاف المستقبل، استشراف المستقبل، وزايد محب للناس ومبغض للمال، وعندما آتاه الله مالاً لم يتردد أبداً في توزيعه. وفي هذه التجربة، قليل ما يوفق بها شعب من الشعوب. دائما أقول عندما أجد مثلا: طفل يولد في بلد فيه مجاعة في مكان ما، وطفل آخر يولد في الولايات المتحدة، أو طفل آخر يولد في دولة الإمارات في عهد زايد تحديداً.. هذه حظوظ، وكان للإمارات حظ كبير أن يرعاها شخص مثل الشيخ زايد، وأن يولد في زمن زايد من ولد في هذه الأجيال التي تحمل من قبس زايد وتمضي بالتجربة الإماراتية قدما. للتحدث عن هذه السحابة التي أمطرت ثلاثين سنة من العطاء الغير منقطع، أمر يحتاج إلى حلقات طويلة، ولكن أكتفي بأن أقول: ان التجربة الإماراتية هي تجربة ممهورة مختومة باسم زايد بن سلطان آل نهيان.

■ سوف أختصر لأنني أخذت من وقتك الكثير وإن سمحت تكون لنا لقاءات تالية، سؤالي سيكون مما جاء قبله: في العقود الماضية كان هناك شخصيات مؤثرة في وطننا العربي مثل جمال عبد الناصر في مصر، والملك فيصل في السعودية، وخالد العظم في سورية، والشيخ زايد في الإمارات. كما أن الوالد أحمد خليفة السويدي من الشخصيات التي أثرت في سياسة الإمارات وله حضور فاعل ومشارك في بناء دولة حديثة... هل فكرت في تدوين هذه التجربة سواء كان على مستوى مؤسساتي أو على مستوى شخصي؟

■ أول شيء أطمئن المعنيين بقضية وسياسة دولة الإمارات أن الوالد الذي تبوأ في البداية رئيساً لديوان سمو رئيس الدولة حاكم أبو ظبي الشيخ زايد سنة 67 ثم وزيراً للخارجية، أول وزير خارجية في 71. أقول: إن الوالد لم يهمل تدوين المذكرات بشكل يومي عن التجربة الاتحادية. فالوالد مثل الذي قطع على نفسه نذراً أن لا يترك هذه التجربة تمضي دون تسجيل دقيق لتفاصيل الحياة اليومية لأمر الاتحاد. ولكن، دون الوالد هذه المذكرات بشكل مختلف عن الشكل الذي حاولت فيه أن أسجل بعض التجارب الخاصة من خلال الوالد، فأنا أكتبها بأسلوب أدبي وأحياناً بأسلوب شاعري، ولدي صفحات عن التجربة الاتحادية من خلال الوالد ومن خلال عملي في المؤسسة الثقافية، فلعل هناك يوما ما.. أصدر فيه ما كتبته كما أود أن تكون لي في يوم ما مذكراتي في السياسة والثقافة لأنني كنت حامل تجربة ثقافية، وكنت في ذرَا أو كنف رجل قام بجهد كبير في مشروع سياسي في قيام دولة الإمارات وفي استمرار التجربة، وهناك رفوف من المجلدات التي سجل فيها الوالد تجربة الاتحاد تاريخا واجتماعا.. إلى آخر ذلك.

■ المسؤولية الإدارية والسياسية للأمين العام للمجمع الثقافي، هذا العمل الكبير.. عندما يتحمل الشاعر مسؤوليته، كيف يكون تأثيرها على الشاعر وخاصة أن الشعر يحتاج إلى التفرغ والحرية.. هل مثل هذا العمل يعطي الشاعر مجالا أوسع في التجربة أو يضع له حدودا وعقبات تحد من إبداعه؟

■ نرجع للسؤال الأول: ما هو الشعر؟.. لو كان الشعر كلمات فقط أو نصوصا نكتبها لكان العمل الإداري في المجمع الثقافي بالتأكيد قد أخذ قدرا كبيراً من جهدي ومن ساعاتي ومن عمري، لكن.. لأنني أشعر أو لأنني على يقين من أن الشعر هو سماء غير محدودة فأقول: لأن إنتاجنا نحن من قرص الموسوعة الشعرية بما فيها من المزايا أو غيرها من المشاريع وتحويل المجمع الثقافي من مبنى خاو إلى مركز يرتاده الناس ويستقون منه الفنون والآداب والموسيقى، فهذا بحد ذاته ضرب من الشعر. وختاماً أقول: إن بناة الأهرام شعراء، وهؤلاء البناة حتى نستطيع أن نجاريهم، حتى نستطيع أن نطاولهم فعلينا أن نفكر بمعادلة بسيطة هي ما هو البناء الذي يقوم الآن في العالم، في هذه الكرة الأرضية، ما هو المبنى الذي أقامه المهندسون المعاصرون بكل أجهزتهم الحديثة والتكنلوجيا المتقدمة، ما هو المبنى الذي أقاموه ليظل قائما حتى سنة 6500 م ليضاهي «الأهرام»؟ والجواب على ذلك «هو الأهرام ذاتها». ومن هنا أقول إنهم لا شك شعراء.

التقته: فاطمة عطفة

عبد الغني كرم الله: الخرافة والرمز والافكار وعالم الفن للفن

بيروت ـ من جورج جحا:

نجد في مجموعة «الام ظهر حادة» القصصية للكاتب السوداني عبد الغني كرم الله اجواء متنوعة تقوم في غالبها على عمليات تشخيص على نمط المثل الخرافي وبما يذكّر بالرمز حينا وما هو فوق الواقع حينا اخر. واذا كان كثير من كلام الكاتب «هادفا» يرمي الى نقد عام او اصلاح او انتقاد لامور وخلقيات وتصرفات بشرية.. ففيه ايضا نماذج تجعله يبدو للقارىء اقرب الى ما يشبه مدرسة الفن للفن. الا انه ممتع في غالب ما يأتي به. هو في نهاية الامر يكتب افكارا وفي احيان كثيرة يكتبها بنفس شعري حي كما في قصة «ارجل الالم» مثلا. صحيح ان في تراثنا الادبي العربي ما يشبه ذلك خاصة في ما ترجمه عبد الله ابن المقفع واعطاه اسم «كليلة ودمنة» مثلا.. لكننا قد نجد لنتاج كرم الله صلة قربى اكثر وضوحا بكتابات حديثة بينها مثلا اعمال للكاتب السوري زكريا تامر. وقد اشتملت المجموعة القصصية على 12 قصة في 183 صفحة متوسطة القطع وصدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر. عالم قصص كرم الله تضج فيه اشياء وكائنات بينها الحيوان والنبات والانسان طبعا. واذا سلمنا بأن الانسان هو غاية كل هذه الاشياء ونهايتها فلا بد من ان نلاحظ ان حضوره «المباشر» في المجموعة قليل الى حد بعيد وسط هذه الكائنات المتعددة. الا انها كلها مشبعة به تتكلم عنه غالبا وتتحدث بلسانه في احيان كثيرة. بعض عناوين القصص بليغ في ما يرمي اليه. من هذه العناوين «كلبة فاطمة» و«حمار الواعظ» و«رائحة الطمي» و«الجزار ملك الغابة» و«استدراج الفراشة لعرشها المجيد» و«الدجاجة اقوى من الاسد» و«جزيرة النمل» وغير ذلك. نبدأ لا من البداية بل من قصة ابعد منها بكثير اي بقراءة قصة «حمار الواعظ» مثلا حيث يقول «انا حمار الواعظ. وللحق لولا صبري الوراثي والحبل الذي يشدني كالوتد الى جذع شجرة في ظهيرة تلك الجمعة لدخلت غاضبا ذلك المكان الكبير الضخم والذي تعلوه مئذنة عالية وشققت الصفوف الى المنبر ثم ادير ظهري له وبكل قواي ارفس الواعظ والذي كان يعلو صوته وهو يتكلم عن الرفق بالحيوان.. ثم انهق نهيقا كبيرا تسمعه عبر مكبر الصوت الانس والجن تعبيرا عن ثأري.. فاثار السوط وكدمات العصا على ظهري التعيس وخلو زريبتي من اي برسيم او قش منذ اسبوع كامل كانا مبررا كافيا لرفستي هذه. وكما قلت فأنا حمار الواعظ «الشيخ جاد الله» وهو يتقن الوعظ في الموت والفتن والنار ومكارم الاخلاق وهي خطب سليمة اللغة موزونة ومتقنة السبك فقد شهد ظهري التعيس بروفات منها».

تبدأ قصص المجموعة بشكل نموذجي ويمكن ان نستدل منها على نمط كتابة كرم الله. القصة الاولى مثلا حملت عنوانا هو «هدية عنصرية».

وبطل القصة هنا حذاء او فلنقل انه القصة كلها. يحدثنا هذا البطل بصيغة المتكلم فيقول «انا زوج حذاء رجالي مقاس 42 ومشكلتي بدات مساء الاحد الموافق الاول من ابريل نيسان 1997 اي قبل ثلاثة اعوام». ولربما تساءل القارىء ان كان تاريخ الاول من ابريل نيسان قد ورد هنا صدفة ام ان الكاتب اختاره عن عمد لانه «يوم الكذب» وهل يقصد بالكذب الخيال نفسه وهو هنا «جامح» الى حد ما. اضاف «فقد كنت قبل هذا التاريخ ممتلىء الوجنات ولين البطن والظهر واقطن فترينة هادئة في شارع الجمهورية». وكان سعر هذا الحذاء «البورجوازي» غاليا مما لا يسمح لاصحاب الارجل الخشنة المتسخة «بشرائي وامتطائي في اعمالهم الشاقة ومشاويرهم الطويلة واستغراقهم اثناء سيرهم في مشاكلهم اليومية الوافرة مما يعرضني للانغمار حتى سيوري في البرك والاصطدام بالحصى والبعر وعلب الصلصة وذلك لان هذه الارجل الكريهة الرائحة لا تقطن الا هذه الاحياء ذات الازقة الضيقة المتسخة».

ويتحدث عن ولادته في المصنع الحديث وعرضه بعد ذلك في الواجهة الى ان اشترته امرأة لحبيبها «وهكذا صرت انا عربون هيام بشري ولكن ما الضير في ذلك فسعاملني برفق». وقد «لاحظت خفة وزن بني ادم حين يسير مع المحبوب. انه يكاد يكون بلا وزن». وننتقل الى القصة التالية وهي «الاحد الحزين» حيث تسلل «حرامي» الى الدار وسرق الحذاء متوهما انه شيء ثمين «لانني كنت انام... داخل صندوق مزين باهداء من حبيبته». الحرامي صار يعامل الحذاء بقسوة. في قصة «استرقاق هدية» يحدثنا عن تفاصيل قرار المرأة المستقلية في حمامها شراء حذاء لحبيبها فيقول واصفا ما اعتبره مأساته «وكأن شيئا لم يكن وكأنها لم تقرر اعدام كائن حي مرهف». (رويترز)

القصيدة المُخالِفة

سعدي يوسف

طالَ ما وجد المرءُ نفسَه في حيرة من أمره، وهو يحاول مدخلاً مجدْياً إلى قصائدِ لقمان ديركي ؛ أقصدُ أن المداخل قائمةٌ، متاحةٌ، لكنّ الجدوى متفاوتةٌ، ومن هنا تأتي الحيرةُ في اتخاذ الخطوة الأولى، الخطوة ذات العلاقة بالشخص قبل النصّ. ليس بمقدورك (بمقدوري) قراءة نصّ لقمان ديركي الشعري بمعزل عن تمثُّل شخصه.

والشخص، هنا، ذو مرجَعية وراهنيّة معيّنتَين، والاثنتان منفصلتان عن عاديّة الواقع انفصالاً عجيباً.

ليس لدى لقمان مرجعية شعرية مقررة مقدّسة. لكنّ لديه اعتبارات: رياض صالح الحسين أولاً وربما أخيراً. لماذا يمضي بعيداً إن كان رياض مضى أبعدَ مما يتحمّل ويُحتمَل؟ الدرسُ قائمٌ، مستمر. المرجعية شخصيةٌ تماماً.

أمّا الراهنية التي أنقذت لقمان من الذوبان في تفاهة النص السائد، فهي متّصلةٌ بأنه خارج الاعتبارات والمنافع والوظائف. ليس موظفاً في صحيفة، ولا ناشطاً في تنظيم سياسي، بل ليس ذا شُغل ثابت على أي حال. هكذا صار خارج التزوير والكذب، والضحك (شعرياً) على القارئ البريء عادة. ثم أنه ليس مغرمَاً بالقراءة، أي انه ليس دودة كتب. مادّتهُ الخام مباشرةٌ من الحياة (ليست الحياة اليومية المألوفة)، واستعداده للاستقبال مستنفرٌ على الدوام، كأنه آدمُ في هبوطه الأول على أرضنا ذات الرتابة، الرتابة التي لن يعرفها.

لقمان، الكائنُ اليومي، في ديالوج دائم دائب: حديثٌ لا يتوقّف إلاّ مع الخمود الطبيعي لوظيفة الجسد.

هذا الديالوج يتخذ هيأة السرد في بهائه، ويمتشق أيضاً أسلحةَ السردِ في مضائه:

ـ المباشرة.
ـ التقاط اللحظة.
ـ الموقف النقدي.

ليس بإمكانك الفصلُ بين ديالوج الكائن اليومي، والنصّ الشعريّ. إنهما متداخلان تداخلاً لا يتحمّل العبث أو محاولةَ التمايز.

يا لأدوارٍ أمنحُها أنا
يا لَشخوصٍ أرتّبُهم أنا
يا للَمشهد يبدأ بإشارةٍ مني
يا للَمهزلة!

قلتُ إن الشاعر مسلّحٌ بالسرد، عارفٌ بما هو فاعلٌ، وملتقطُ لحظةٍ وزاوية :

في يوم المسرحِ العالميّ
أهديتكم ثماني قرنفلات
وكنت تعتذرين مني كلماً مدحك شخصٌ.
في يوم المسرح العالميّ
أُسدلت الستارةُ
ولم تحجبْ من الممثلين سواي.

لكأن هذا هو التماهي الحقّ بين المهرِّج والفيلسوف، بين اللاعب وما وراء اللعبة.

أليس الفن، بإطلاق، هو هذا؟

آنَ استعملتُ تعبيرَ «المباشَرة»، كان استعمالي احتراماً للمصطلَح وتقديراً، وتأكيداً في الوقت ذاته على أن تجنُّبَ المباشرة مرضٌ أُصيبتْ به القصيدة لدينا، مرضٌ ظلَّ يُعمِلُ في الشعرِ تشذيباً وتهذيباً حتى فقدَ جناحيه:

قوادمَ وخوافيَ، وحتى لم يعدْ ذا مغزى أو جدوى..

بَعُدَ فابتعدَ عنه الناسُ وتناساه، لأنه ابتعدَ عن الناس وتناساهم، موغلاً في اللامباشرَة ونفخِ الهواء في البالون المثقوب.

لكنّ المسافة التي يضعها الفنان (الشاعر هنا) بين الفن والحياة تظل قائمةً وضرورية، فهذه المسافة هي ساحة الوصل والفصل في آن:

سأغلق النوافذ جيداً
ولن أفتح الأبواب
سأرتق شقوق الجدران
لأنني أخاف
أن يدخل الهواءُ الذي تتنفسون منه إليّ!

هي، إذاً، القطيعة الموصولة، أو الصلة المقطوعة، الجدل الدائم الذي يمنح الحياةَ حركيةً واختلافاً :

وفي نهاية الليل
مع صوت غربان الصباح
أنام دون أن أفكرَ بك
لأنني لم أجد الوقتَ الكافي!

لقد مضى زمن العاشق المولّه، المُدْنَف (ما معنى المدنَف؟). نحن أمام مادّة مسيطرَ عليها. في هذه الأبيات نتابع أسراراً من صَنعة لقمان ديركي، نتابع المباشرَة، والتقاطَ اللحظة، والموقفَ النقديّ، ونتابع كذلك مهارة الاختزال والتكثيف.

القصيدة لدى لقمان معنيةٌ بقضايا كبرى، حقاً، لكن الشاعر ليس أسيرَ هذه القضايا. أريد القول إنه يمنح القضايا الكبرى، في السياسة والوضع البشري، ملموسيةَ الفن وملمسَه، فتعود شاخصةً مشخّصةً، نائيةً بنفسها عَن تجريديّتها القاتلة، وهكذا سنقرأ في ديوانه الأخير «شخوص الممالك الزائلة» شواظاً من ملحمة الأكراد:

يا إله الميدين حدّقْ جيداً
يا إله الفُرس اسمعني. يا إله المنصّة تعذّب قليلاً.
تململْ واقرضْ أظافرك فلم تبدأ الملهاةُ بعدُ، ولم يأت سيّدُها. قاضي محمد.. أحفادك ناموا على الهزيمة، فلأكُنْ ومسرحي حذاءً لك تلبسنا وتتمشى في الجمهورية القتيلة بعد عام، فلأكن ومسرحي شخوصاً لك تحرّكنا حتى المشانق.. آآاخ. أي جبل كان ذلك الجبل؟ أي شعب كان ذلك المسوّر حدودكَ؟ قاضي محمد.. ماذا فعلتَ حين تقدّمَ الجنودُ وتراجعَ البرزانيون إلى جهتهم؟

***

مياهٌ كثيرة مرت تحت الجسور، وهي تمرُّ الآن أيضاً.
لكن من العسير على قصيدة النثر أن تجد تجلياً لها أبهى مما أنجزه لقمان ديركي.
إن قصيدته تستحقّ العميقَ من التأملِ والكثيرَ من الاحترام.

لندن: 2006/1/27

* مقدمة أعمال لقمان ديركي الشعرية التي تصدر قريباً في دمشق.

الكاتب الجزائري حسين علام يفوز بجائزة مالك حداد للرواية

الجزائر ـ «القدس العربي»
ـ من نورالهدى غولي:

حسين علام

فازت رواية الكاتب الجزائري «خطوة في الجسد» الصادرة عن منشورات الاختلاف والدار العربية للعلوم، بجائزة مالك حداد للرواية العربية بعد مرور الأعمال المقدمة للمسابقة على لجنة قراءة مكونة من الناقدة يمنى العيد والقاص المغربي إدريس خوري، في رغبة لتواجد سمة البعد العربي..

حفل استلام الجائزة في طبعتها الثالثة حضرته صاحبة المبادرة الروائية أحلام مستغانمي التي أصرت على إعادة الاعتبار للكاتب مالك حداد الراحل الذي كان يشعر بحرقة لعدم قدرته على الكتابة باللغة العربية، وصرخ ساخطا ذات عمر «الفرنسية منفاي»، فعملت صاحبة «ذاكرة الجسد» على تأسيس هذه الجائزة سنة 2001 بالاشتراك مع التلفزيون الجزائري وديوان حقوق المؤلف الذي انسحب في هذه الطبعة الأخيرة.. ورأت الروائية أنه «ليس كثيرا أن يكرم كاتب جزائري كل سنتين».

«خطوة في الجسد» هو أول عمل ينشر للكاتب حسين علام، الذي قال إنه يعي تماما «أن هناك كتابا كثيرين في التخوم لم يكونوا محظوظين بالقدر الذي لحق بي...»، هو الكاتب الذي اتخذ من الموروث الشعبي متكأ له في بنائه الروائي مع منحه بعدا إنسانيا دراميا، وقد كان نصه الروائي الفائز بكثافة لغوية عالية مع توفر سمة تعدد الأصوات، والعرض الدقيق للأشخاص والأمكنة.. في بحث له عن الهوية الجزائرية في مناخ سياسي جد متوتر.

الرواية حسب ما رأتها لجنة القراءة هي «رواية الجزائر الحالية التي ما تزال تضمد جراحها الدامية وجراح النخبة المثقفة». وهي الأسباب ذاتها التي جعلت اختيار كل من يمنى العيد وإدريس خوري يقع على هذا النص الروائي مع التنويه بأعمال أخرى مثل «عتبات المتاهة» للشاعر أحمد عبد الكريم، ورواية «مضغة النار».

حديث مستغانمي عن الأوطان والكتابة حديث لا يكاد ينتهي، وعلى هامشه لم تفوت فرصة طلب خاص من وزيرة الثقافة خليدة تومي حتى تكون الجائزة تقليدا سنويا، وحتى لا نخسر عددا آخر من الكتاب الموهوبين، فهي ترى أن «الجزائر تحتاج إلى جائزة كبيرة في قامتها» مشيرة إلى قيمة الجائزة «الكبيرة» التي تساعد الكاتب الفائز، في نظرها، على التفرغ للإبداع...». مع العلم بأن قيمة الجائزة تبلغ 400,000 دينار جزائري أي ما يعادل 4000 دولار.

على هامش الحفل.. جرى حديث عن المنحى الجديد الذي تأخذه الرواية الجزائرية اليوم، مقارنة بأحادية النظرة التي كانت أهم سمة تطبع الرواية السابقة، وقد جاء في بيان اللجنة الذي قرأه الكاتب المغربي إدريس خوري إشارة «عابرة» للرهان الذي التصق بها بعد كل ما قدمته من تغييرات، فصارت الرواية الجزائرية اليوم مطالبة أكثر فأكثر بالإنصات إلى الذات والاستمرار في تقبل أوجهها الجديدة.

وهج فتيل الجوائز

قبل فكرة مستغانمي عن «مالك حداد» لم تكن للجزائر من جائزة يمكنها أن تقدم رهانا للمبدع الجزائري، إلى أن جسد المشروع/ الحلم لأول مرة، وتم التقديم الأول للجائزة سنة 2001 مناصفة بين الروائي إبراهيم سعدي عن روايته «بوح الرجل القادم من الظلام» والكاتبة ياسمينة صالح عن مؤلفها «بحر الصمت»، وبعد سنتين كانت أعطيت الجائزة مناصفة أيضا لكل من الشاعرة انعام بيوض عن روايتها «السمك لا يبالي»، ورواية «لاروكاد» للكاتب الناقد عيسى شريط.

قبل فترة قصيرة، وعقب فوز الروائي الطاهر وطار بجائزة الشارقة للإبداع العربي، تعهد صاحب رواية «اللاز» بإنشاء جائزة «الطاهر وطار للرواية العربية»، انطلاقا من الدور الفعال الذي تقدمه جائزة يكون لها صداها الجاد. سيكون هذا النوع من الحركية في فضاء الجوائز دعما للكاتب الجزائري الباقي دوما على حافة الانتظار، ورغم انعدام مثل هذه المبادرات إلا أن الروائية أحلام مستغانمي قد صرحت «نحن لا نريد أنصاف جوائز.. نحن نريدها أن تكون مجرد ذريعة جميلة، ليس أكثر، من أجل اكتشاف مثل هذه المواهب المبدعة». وأضافت: «مالك حداد منح الجزائر يوما غزالة من خلال روايته الرائعة «سأهبك غزالة»، ونحن سنهبه قطيعا من الغزلان...»».

مفاجأة أخرى كانت بانتظار الجميع، حين أعلنت رئيسة جمعية الاختلاف الثقافية الدكتورة آسيا موساي عن نية الجمعية بإصدار الأعمال الكاملة للمبدع مالك حداد، موجهة دعوة لكل من له مخطوط ترجمة لأعمال الراحل أن يتقدم بها من أجل جمعها ونشرها في أقرب فرصة، هذا وقد كانت الجمعية أقدمت على نشر روايته «الانطباع الأخير» التي ترجمها القاص سعيد بوطاجين، وكذا ديوانه الشعري «الشقاء في خطر» والذي ترجمه الكاتب عبد السلام يخلف ونشر قبل فترة قصيرة..

نشر الأعمال الكاملة سيكون طبعا مشتركا بين «الاختلاف» الجمعية الراعية لجائزة مالك حداد، والدار العربية للعلوم (لبنان)، مع منشورات المركز الثقافي العربي (المغرب).